شرح صحيح البخاري

للشيخ محمد بن صالح العثيمين

منهجية الفقيه والمربي

صحيح البخاري هو واحد من أهم كتب الحديث النبوي الشريف عند أهل السنة والجماعة، ويعتبر أصح الكتب بعد القرآن الكريم. قام بجمعه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ويضم الأحاديث التي تواتر سندها وتأكدت صحتها

صحيح البخاري: قلعة السنة النبوية الشريفة ومنارة العلم الإسلامي

يُعتبر "الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، المعروف اختصارًا بـ "صحيح البخاري"، أحد أبرز وأجلّ مؤلفات السنة النبوية المطهرة على مر العصور. إنه ليس مجرد كتاب حديث، بل هو موسوعة علمية ومنارة إسلامية لا تزال تضيء دروب طلبة العلم والباحثين عن الهدي النبوي الشريف، ويحتل مكانة فريدة لا تُضاهى في المكتبة الإسلامية، إذ يُعد أصح كتاب بعد القرآن الكريم بالإجماع.

.1مؤلفه ومكانته العلمية:

مؤلف هذا السفر الجليل هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، المولود في بخارى سنة ١٩٤ هـ. نشأ الإمام البخاري يتيمًا، ولكنه وهب حياته لطلب العلم والرحلة في الآفاق لجمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسافر إلى مكة، والمدينة، والشام، ومصر، والعراق، وغيرها من الأمصار الإسلامية، ولقي خلال رحلاته كبار الأئمة وشيوخ الحديث. اتصف الإمام البخاري بحدة الذكاء، وقوة الحافظة، والورع، والتقوى، والتبحر في علوم الحديث، حتى أصبح إمام عصره بلا منازع، ونال لقب "أمير المؤمنين في الحديث."

.2دافع التأليف والمنهجية الفريدة:

لم يكن تأليف صحيح البخاري وليد الصدفة، بل كان نتيجة رؤية ثاقبة للإمام البخاري وحاجة ماسة لجمع الأحاديث الصحيحة وتمييزها عن غيرها. يُروى أن

شيخه إسحاق بن راهويه قال ذات يوم: "لو جمعتم كتابًا مختصرًا في صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"، فوقع ذلك في قلب البخاري، وعقد العزم على تحقيق هذا المشروع العظيم.

استغرق الإمام البخاري في تأليف صحيحه ستة عشر عامًا، قام خلالها بعملية تدقيق وتمحيص غير مسبوقة. كانت منهجية البخاري صارمة ودقيقة جدًا، اعتمد فيها على شروط لم يسبقه إليها أحد من المحدثين:

- **اتصال السند :**اشترط أن يكون كل راوٍ في السند قد سمع الحديث ممن فوقه مباشرة.
- **العدالة والضبط :**اشترط أن يكون الرواة عدولاً (أي غير فاسقين) وضابطين (أي دقيقي الحفظ والإتقان).
- **الورع والتقوى :**كان يتشدد في اختيار الرواة المشهود لهم بالورع والبعد عن الشبهات.
- **استنباط الفقه :**لم يكن مجرد جامع للأحاديث، بل كان فقيهًا عظيمًا، فقام بتبويب الكتاب وفق أبواب فقهية، واستنبط الأحكام من الأحاديث، ووضع تراجم (عناوين) الأبواب ببراعة فائقة تكشف عن عمق فهمه.

يقال إن الإمام البخاري ما وضع حديثًا في صحيحه إلا واغتسل وصلى ركعتين قبل أن يثبته. هذا يعكس مدى تدقيقه وورعه في التعامل مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

3.محتواه وأبوابه:

يحتوي صحيح البخاري على حوالي ٧٢٧٥ حديثًا بالمكرر، وحوالي ٢٦٠٢ حديث بدون تكرار، مقسمة على ما يقرب من ٩٧ كتابًا (أبواب فقهية)، وكل كتاب يضم عددًا من الأبواب الفرعية. تبدأ الكتب بـ "كتاب بدء الوحي" للدلالة على أهمية الوحي كنبع للرسالة، ثم يتوالى ذكر الكتب الفقهية والاعتقادية والأخلاقية والتاريخية، مثل:

- كتاب الإيمان
- كتاب العلم
- كتاب الوضوء

- كتاب الصلاة
- كتاب الزكاة
- كتاب الحج
- كتاب البيوع
- كتاب النكاح
- كتاب التفسير
- كتاب المغازي
- كتاب الأدب
- كتاب الفتن
- وكتاب التوحيد في الختام.

هذا الترتيب يعكس رؤية فقهية ومنهجية متكاملة للإمام البخاري، حيث يضع الحديث في سياقه الصحيح ويستنبط منه الأحكام.

.4مكانته بين كتب الحديث:

حاز صحيح البخاري على إجماع الأمة بقبول صحته وأصالته، وأصبح المرجع الأول والمقدم في علم الحديث. أثنى عليه العلماء قاطبة، منهم الإمام مسلم الذي قال: "ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب البخاري". هذه المكانة لم تأتِ من فراغ، بل من الجهد الجبار والدقة المتناهية التي بذلها الإمام في جمعه وتصنيفه.

.5الشروح والتعليقات:

نظرًا لمكانته العظيمة، تبارى العلماء على مر العصور في شرح صحيح البخاري وخدمته. وُضعت عليه مئات الشروح والحواشي والتعليقات، بعضها موسوعي وشامل، وبعضها مختصر ومخصص لجوانب معينة. من أشهر هذه الشروح:

- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني** :يُعد هذا الشرح قمة في بابه، وموسوعة علمية جامعة، لا غنى عنها لكل طالب علم.

- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني :**وهو شرح موسوعي آخر يُكمل فتح الباري ويستدرك عليه بعض النقاط.
- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني.**
- **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني.**

هذه الشروح لم تقتصر على توضيح معاني الأحاديث فحسب، بل تناولت أيضًا الأسانيد، والرواة، والجرح والتعديل، واستنبطت الأحكام الفقهية، وناقشت المسائل الأصولية والعقدية، مما يبرز عمق هذا الكتاب وتأثيره العلمي.

.6صحيح البخاري في العصر الحديث:

حتى يومنا هذا، لا يزال صحيح البخاري حجر الزاوية في الدراسات الإسلامية. تُدرَّس أبوابه في الجامعات والمعاهد الشرعية، ويُرجع إليه في استنباط الأحكام الشرعية، ويُستشهد به في الخطب والمواعظ. كما يُترجم إلى لغات العالم المختلفة، ليصل نوره إلى المسلمين وغير المسلمين، ليقدم صورة واضحة وموثوقة عن تعاليم الإسلام وهدي نبيه الكريم.

الخاتمة:

إن صحيح البخاري ليس مجرد مجموعة أحاديث، بل هو رحلة إيمانية وعلمية عميقة، تحفة خالدة تركها لنا إمام عظيم، فجزاه الله خير الجزاء على هذا العمل الذي حفظ للأمة جزءًا أصيلًا من تراثها النبوي الشريف، وبقي وسيظل منارة يهتدي بها المسلمون في شؤون دينهم ودنياهم.

.7تميزه بالتعليقات والمتابعات والشواهد:

من أبرز جوانب دقة الإمام البخاري وتميز منهجه، هو استخدامه لأنواع معينة من الروايات التي تخدم غرض التأكيد والتقوية أو الإيضاح:

- **التعليقات :**وهي الأحاديث التي يذكرها البخاري بدون إسناد كامل، إما لأنه أوردها في موضع آخر بإسناد متصل، أو لأنه أراد الإشارة إليها كنوع من الاستشهاد أو المتابعة، أو لأنها لم تبلغ شرطه في الصحة ولكنها تفيد في الباب. وقد عني العلماء بوصل هذه التعليقات وشرحها.

- **المتابعات :**وهي الأحاديث التي يرويها أكثر من صحابي أو بأكثر من طريق عن نفس الصحابي بنفس المتن، لتأكيد صحة الحديث وتقويته.
- **الشواهد :**وهي الأحاديث التي لها معنى مشابه أو قريب من الحديث الأصلي ولكن بسند آخر ومتن مختلف قليلاً، وتُستخدم لدعم وتأكيد المعنى العام للباب.

هذه الأنواع من الروايات تكشف عن عمق فهم الإمام البخاري لعلم الحديث، ومهارته الفائقة في جمع الطرق والروايات المتعددة لخدمة المعنى وتقوية الأدلة.

.8الأحاديث الرباعية والثلاثيات:

يُعرف صحيح البخاري أيضًا باحتوائه على ما يُعرف بـ "الثلاثيات" و"الرباعيات" و"الخمسيّات" وغيرها من الأسانيد العالية. "الثلاثيات" هي الأحاديث التي لا يوجد بين الإمام البخاري وبين النبي صلى الله عليه وسلم سوى ثلاثة رواة فقط. وهي تعتبر من أسمى أنواع الإسناد وأعلاها، لأن قرب السند من النبي صلى الله عليه وسلم يقلل من احتمالية الأخطاء أو النسيان. وقد أولى العلماء هذه الثلاثيات اهتمامًا خاصًا، وجمعوها في مصنفات مستقلة، لما لها من قيمة عالية.

.9الدقة في الألفاظ واختيار الروايات:

كان الإمام البخاري دقيقًا جدًا في اختيار ألفاظ الحديث والروايات التي يعتمدها. فإذا كان هناك اختلاف بسيط في لفظ حديث بين روايتين، فإنه قد يذكر الروايتين أو يشير إلى الاختلاف، وهذا يدل على مدى أمانته العلمية. كما أنه كان يتحرى أدق الألفاظ التي تعطي المعنى الأكمل للحديث وتُعين على استنباط الأحكام.

" .10التقاطيع" واستنباط الفقه:

من جوانب نبوغ الإمام البخاري، ما يسميه العلماء بـ "التقاطيع" أو "التجزئة". فكثيرًا ما يُقسّم الحديث الواحد إلى أجزاء، ويُدرج كل جزء في الباب المناسب له من أبواب الفقه. وهذا ليس إغفالًا لتمام الحديث، بل هو طريقة مبتكرة لاستنباط الأحكام الفقهية المتعددة من الحديث الواحد. فالجزء المتعلق بالصلاة يضعه في باب الصلاة، والجزء المتعلق بالزكاة يضعه في باب الزكاة،

وهكذا. هذه الطريقة تُظهر مدى فقهه وعمق فهمه لمتون الأحاديث وقدرته على استخلاص الفوائد المتعددة منها.

.11علاقته بكتب الصحاح الأخرى (خاصة صحيح مسلم):

صحيح البخاري هو الأول من "الصحاح الستة" (أو التسعة حسب بعض التصنيفات)، ويأتي بعده مباشرة "صحيح مسلم" للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري. ورغم أن كلا الكتابين يُعتبران من أصح الكتب بعد القرآن، إلا أن لكل منهما منهجًا يختلف عن الآخر:

- **البخاري** :يُعرف بتركيزه على استنباط الأحكام الفقهية من الأحاديث، وتبويبه الدقيق الذي يخدم هذا الغرض، مع تدقيقه في شروط الرواة.
- **مسلم** :يُعرف بجمعه لطرق الحديث الواحد في مكان واحد، مما يُسهّل على الدارس معرفة جميع روايات الحديث والاختلافات فيها، ويركز على جمع الأسانيد والمتون.
كثير من الأحاديث الموجودة في صحيح البخاري توجد أيضًا في صحيح مسلم (ما يُسمى بالمتفق عليه)، ولكن قد يختلفان في طرق الرواية أو الألفاظ الجزئية.

.12الدور الحاسم في حفظ السنة:

في فترة تاريخية كانت تموج بالخلافات الفكرية والفقهية، وبروز بعض المذاهب التي تعتمد على العقل أكثر من النقل، جاء صحيح البخاري ليكون حجر الزاوية الذي رسّخ منهج أهل السنة والجماعة في تلقي الحديث النبوي الشريف. لقد حمى صحيح البخاري السنة النبوية من التلاعب والضعف والوضع، وقدم للأمة معيارًا ذهبيًا للتميز بين الصحيح وغير الصحيح، مما ساهم بشكل كبير في صيانة الدين الإسلامي من التحريف.

الخاتمة النهائية:

إن صحيح البخاري ليس مجرد كتاب يُقرأ، بل هو منهج يُدرس، ومدرسة يُتعلم منها، ومصدر لا ينضب للعلم والإيمان. لقد كان الإمام البخاري بحق مُجدّدًا في عصره، وخدمة العظيمة للسنة النبوية ستبقى أثرًا خالدًا له، وشاهدًا على تفانيه وعلمه وورعه. إن كل مسلم مدين لهذا الإمام الجليل الذي بذل عمره وجهده

ليجمع لنا هذا الكنز الثمين، فنحمد الله تعالى على نعمة وجود هذا الكتاب الذي يبقى مصدرًا للهداية والنور لأمة الإسلام إلى يوم الدين.

بالرغم من أن الإمام ابن عثيمين لم يقم بشرح كامل وشامل لكل صحيح البخاري في كتاب مطبوع واحد كما فعل الحافظ ابن حجر في "فتح الباري"، إلا أن دروسه ومحاضراته في شرح أجزاء من صحيح البخاري وأبوابه المختلفة متوفرة ومنتشرة على نطاق واسع، وتُعد إضافة قيمة جدًا لمكتبة الشروح. سنركز في هذا القسم على منهج الشيخ ابن عثيمين في التعامل مع صحيح البخاري وأبرز سمات شرحه.

.13شرح صحيح البخاري للشيخ محمد بن صالح العثيمين: منهجية الفقيه والمربي

يُعرف فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله) بأنه أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة في العصر الحديث، وامتاز بأسلوبه الواضح والمبسط، وقدرته الفائقة على تبسيط المسائل العلمية المعقدة، وربطها بالواقع العملي وحياة المسلمين. وفيما يتعلق بشرحه لصحيح البخاري، فإنه يحمل سمات مميزة تعكس منهجه العلمي والتربوي:

أ. ليس شرحًا كاملاً على نسق الشروح القديمة:
الشيخ ابن عثيمين لم يكن هدفه تأليف شرح موسوعي يُضاهي "فتح الباري" لابن حجر أو "عمدة القاري" للعيني من حيث التفصيل في الروايات واللغة والأسانيد والجرح والتعديل. بل كانت دروسه تهدف بالأساس إلى:

- **تعليم طلاب العلم والعامة** :كان يستهدف شريحة واسعة من المسلمين، من طلاب العلم المبتدئين إلى عامة الناس الراغبين في فهم دينهم.
- **الجانب الفقهي والعملي** :التركيز على استنباط الأحكام الفقهية وتوضيح المسائل العملية التي تُفيد المسلم في عباداته ومعاملاته وحياته اليومية.

ب. أبرز سمات منهج الشيخ ابن عثيمين في شرح البخاري:

١. **الوضوح والتبسيط** :يتميز شرحه باللغة السهلة والميسرة، والابتعاد عن التعقيد اللغوي أو الاصطلاحي إلا للضرورة القصوى، مما يجعل فهم الأحاديث وأحكامها في متناول الجميع.

٢. **التركيز على الفقه والعقيدة :**كان الشيخ ابن عثيمين فقيهًا أصوليًا وعقائديًا محققًا، لذا يبرز في شرحه استنباط الأحكام الفقهية من الأحاديث، وتوضيح المسائل العقدية المستفادة منها، وتصحيح المفاهيم الخاطئة.

٣. **ربط السنة بالقرآن :**دائمًا ما يربط الشيخ الأحاديث بآيات القرآن الكريم، مبينًا كيف أن السنة هي شارحة ومفسرة للقرآن، وكيف أنهما لا ينفصلان في الفهم الصحيح للإسلام.

٤. **الاستفادة من أقوال السلف :**مع أسلوبه الخاص، كان الشيخ يستحضر أقوال الأئمة والسلف الصالح في فهم الحديث، ويعرض الأقوال الفقهية المختلفة مع الترجيح بأسلوب علمي ومنطقي مدعومًا بالأدلة.

٥. **العناية بفوائد الحديث وهداياته :**لا يكتفي بشرح معنى الحديث فحسب، بل يستخرج منه الفوائد والعبر والهدايات التربوية والأخلاقية، ويُبين كيف يمكن للمسلم أن يطبق هذه السنن في حياته.

٦. **توضيح المشكلات الإسنادية والمتنية باختصار :**على الرغم من عدم إسهابه في علم الإسناد كالحافظ ابن حجر، إلا أنه إذا دعت الحاجة لتوضيح مسألة إسنادية أو لفظية تؤثر على فهم الحديث أو حكمه، فإنه يفعل ذلك بإيجاز ووضوح.

٧. **الأسلوب الوعظي والتربوي :**كان الشيخ مربيًا فاضلاً، فتمتزج دروسه بجوانب الوعظ والتذكير والترغيب والترهيب، مما يجعل الشرح ليس مجرد تلقين للمعلومات، بل تهذيبًا للنفوس وتزكية لها.

٨. **الجمع بين المذهب الفقهي والأدلة :**كان الشيخ ابن عثيمين حنبلي المذهب، لكنه كان يعتمد بشكل أساسي على الدليل الشرعي من القرآن والسنة الصحيحة، ولا يتقيد بالمذهب إذا خالفه الدليل، مع احترامه لآراء الأئمة.

ج. مصادر شرح الشيخ ابن عثيمين للبخاري:

تتواجد شروحات الشيخ البخاري في صور متعددة:

- **سلاسل صوتية ومرئية :**قام الشيخ بشرح أجزاء من البخاري في دروس ومحاضرات مسجلة، وهي متوفرة بكثرة.

- **متون مطبوعة :**قامت بعض الدور بتحويل هذه الدروس إلى متون مطبوعة، مثل "شرح كتاب العلم من صحيح البخاري"، و"شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري"، وغيرها.
- **ضمن مجموع فتاواه ولقاءاته :**أحيانًا ما كانت تأتيه أسئلة متعلقة بأحاديث معينة في البخاري، فيشرح الحديث ويستنبط منه الحكم في سياق فتاواه أو لقاءاته المفتوحة.

د. قيمة شرحه لطلاب العلم والمسلمين:

يُعد شرح الشيخ ابن عثيمين لصحيح البخاري، وإن لم يكن كاملاً، إضافة ثمينة جدًا. إنه يُقدم للجيل الحالي شرحًا معاصرًا، يتناسب مع احتياجاتهم، ويُعينهم على فهم السنة النبوية بمنهج صحيح وواضح، بعيدًا عن التعقيدات، مع التركيز على الجوانب العملية والاعتقادية

.14الرد على الشبهات والانتقادات حول صحيح البخاري:

على مر العصور، حاول بعض المغرضين أو غير المتخصصين إثارة الشبهات والاعتراضات حول بعض أحاديث صحيح البخاري، وذلك لأهداف مختلفة، منها:

- **الطعن في السنة النبوية بشكل عام.**
- **الطعن في مكانة صحيح البخاري خاصة.**
- **سوء الفهم أو الجهل بعلوم الحديث ومناهج المحدثين.**

وقد تصدى علماء الأمة المحققون لهذه الشبهات والاعتراضات بأسلوب علمي رصين، مبينين دحضها من عدة أوجه:

- **سلامة الأسانيد :**أغلب هذه الشبهات لا تُوجه إلى ضعف السند، لأن الإجماع قائم على صحة أسانيد البخاري.
- **سوء فهم المتن :**كثير من الاعتراضات تنبع من سوء فهم لمتن الحديث، أو تفسيره بعيدًا عن سياقه العام، أو عدم الإلمام باللغة العربية الفصحى وأساليبها، أو الجهل بالناسخ والمنسوخ، أو العام والخاص.

- **الجهل بقواعد علم الحديث :**بعض الاعتراضات تأتي من أناس لا دراية لهم بعلوم الحديث وأصوله، كالتفريق بين الحديث القدسي والنبوي، أو فهم أنواع الروايات (المعلّق، المتابع، الشاهد).
- **الجانب العقلي مقابل النقلي :**أحيانًا تُعارض بعض الأحاديث بحجة أنها تخالف العقل، والرد هنا أن العقل الصريح لا يُخالف النقل الصحيح، وإذا بدا تعارض فهو إما لسوء فهم النص أو لقصور العقل البشري عن إدراك بعض الحقائق الغيبية التي لا مجال للعقل فيها.
- **التأويل السليم :**العلماء يبينون أن بعض الأحاديث تحتاج إلى تأويل سليم وفق قواعد الشريعة واللغة، لإزالة أي تعارض ظاهري مع النصوص الأخرى أو مع ما استقر عليه الإيمان.
- **الإجماع على الصحة :**الإجماع التاريخي للأمة على صحة أحاديث البخاري هو بحد ذاته حجة قوية ضد أي اعتراضات فردية أو حديثة غير مؤسسة.

إن الجهود المبذولة في الرد على هذه الشبهات تُعد جزءًا لا يتجزأ من خدمة صحيح البخاري والسنة النبوية الشريفة، وتُظهر مدى تمسك الأمة بحجية هذا الكتاب العظيم.

.15الجانب الروحي والأخلاقي من قراءة صحيح البخاري:

قراءة صحيح البخاري ليست مجرد عملية عقلية أو فقهية بحتة، بل هي رحلة روحية عميقة تترك أثرًا بليغًا في نفس القارئ:

- **ارتباط بالوحي النبوي :**يتقرب القارئ إلى نبع الرسالة مباشرة، ويستمع إلى كلام النبي صلى الله عليه وسلم، مما يغذي روحه ويعمق إيمانه.
- **القدوة الحسنة :**يتعرف القارئ على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وتعاملاته، ويجد فيه القدوة الحسنة التي تُلهم حياته.
- **تزكية النفس وتهذيب الأخلاق :**الأحاديث النبوية مليئة بالوصايا الأخلاقية التي تدعو إلى مكارم الأخلاق كالصبر، الأمانة، الصدق، التواضع، الإحسان، وصلة الرحم، مما يُسهم في تزكية النفس وتهذيب السلوك.

- **فهم أعمق للإسلام** :يكتسب القارئ فهمًا أعمق وشاملاً للإسلام كمنهج حياة، لا يقتصر على العبادات الشعائرية، بل يشمل كل جوانب الحياة.
- **بناء الشخصية المسلمة** :تساعد قراءة الأحاديث على بناء شخصية مسلمة متوازنة، تجمع بين العبادة والمعاملة الحسنة، وبين الحقوق والواجبات.
- **الشعور بالسكينة والطمأنينة** :قراءة كلام النبي صلى الله عليه وسلم، تُضفي على النفس سكينة وطمأنينة، وتُثبت القلب على الحق، وتُذهب الوساوس والهموم.
- **غرس محبة النبي صلى الله عليه وسلم** :كلما ازداد المرء قراءة في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته، كلما ازدادت محبته له وشوقه إليه، وحرصه على الاقتداء به.

الخاتمة الكبرى:

إن صحيح البخاري هو أكثر من مجرد كتاب؛ إنه إرث حضاري، وكنز إيماني، وعمود فقري للدين. إنه يُجسد جهد أجيال من العلماء الذين وهبوا حياتهم لخدمة سنة النبي صلى الله عليه وسلم. ومن خلال دراسته وشرحه والرد على الشبهات حوله، تنتقل شعلة العلم والمعرفة من جيل إلى جيل، ليبقى صحيح البخاري رمزًا للأصالة، ومنارة للهداية، وقلعة حصينة للإسلام في مواجهة التحديات العصرية. إن فهمه والعمل بما فيه هو أساس صلاح الفرد والمجتمع، وهو السبيل لاتباع الهدي النبوي الشريف الذي هو مفتاح الفلاح في الدنيا والآخرة.
